



"لا مكان آمن للرعاية الصحية"
الهجوم على مستشفى الأتارب في سوريا

دراسة ميدانية أعدها منظمة أطباء من أجل حقوق الإنسان
والجمعية الطبية السورية الأمريكية

العيادة العظمية في مستشفى الأتارب بعد
هجوم آذار 2021
تصوير: الجمعية الطبية السورية الأمريكية

لمحة عامة

في 21 آذار 2021، أصابت ثلاث قذائف مدفعية مستشفى الأتارب في الريف الغربي لمحافظة حلب. ألحقت القذائف إصابة مباشرة بمدخل المستشفى، ودمرت عيادة العظمية أثناء ساعات العمل. أسفر الهجوم عن مقتل سبعة مرضى، وجرح 15 شخصاً، بينهم خمسة عاملين صحيين، وعن إيقاف جميع خدمات المستشفى لمدة أسبوعين.

يشكل هذا الهجوم حلقة من مسلسل حافل من العنف ضد المرافق الصحية أثناء النزاع في سوريا. فمنذ اندلعه في آذار 2011، تنفذ أطراف القتال هجمات عشوائية على مرافق الرعاية الصحية في البلد أو تستهدفها بشكل مباشر. وقد دأبت أطباء من أجل حقوق الإنسان على توثيق الهجمات على المرافق الطبية والعاملين الطبيين في سوريا طوال سنوات النزاع العشر، وتحققت من 600 هجوم على المرافق الصحية¹. نفذت قوات الحكومة السورية وحلفاؤها من القوات الروسية 90 بالمئة منها أي نحو 541 هجوماً. حولت هذه الهجمات المرافق الطبية فعلياً إلى أماكن خطيرة على العاملين الصحيين ومرضاهم، ودمرت القطاع الصحي في سوريا. وهذه الدراسة هي الأولى في سلسلة دراسات ميدانية تصف بالتفصيل الهجمات على المرافق الصحية وآثارها على المجتمعات المحلية التي تعمل فيها. وكما توضح فقرة "الإطار القانوني" أدناه، فإن هذه الهجمات تنتهك قوانين دولية عديدة كالقانون الدولي الإنساني، والقانون الجنائي الدولي، والحق في الصحة.

المنهجية

تعتمد هذه الدراسة وهي ثمرة تعاون بين أطباء من أجل حقوق الإنسان والجمعية الطبية السورية الأمريكية (سامز) على عدد من مصادر البيانات بينها دراسات، ووثائق داخلية للمنظمات التي تشغل مستشفى الأتارب، ومقابلات مع عاملين صحيين كانوا شهوداً على هجوم آذار 2021. والأهم هو أن ثلاثة من المشاركين في المقابلات مقيمون في بلدة الأتارب وبينهم جراح عظمية فقد إحدى عينيه جراء الهجوم، وعاملين فنيين. وأجرى باحث يتحدث العربية والإنكليزية جميع المقابلات عبر برنامج واتساب في الفترة من 15 نيسان إلى 18 أيار 2021 بعد الحصول على موافقة المشاركين.

موقع مستشفى الأتارب الجراحي ولمحة عامة عنه

تعتبر بلدة الأتارب مركزاً تجارياً مهماً على الطريق الرئيسي الذي يربط محافظة حلب مع إدلب وريف حلب الغربي. وموقعها استراتيجي حيث تقع على بعد 25 كم غرب مدينة حلب، ثاني أكبر مدينة في سوريا، وعلى بعد 25 كم جنوب شرق الحدود التركية.

قامت منظمتان غير حكوميتان هما يدا بيد للإغاثة والتنمية ومؤسسة أورينت الإنسانية ببناء مستشفى الأتارب "القديم" في أواخر عام 2012. وكان آنذاك يضم غرفتي عمليات وثمانية عيادات خارجية في الاختصاصات التالية: الصحة الإنجابية، والأطفال، والعينية، والعظمية، والعصبية، والبولية، والأذن والأنف والحنجرة، والداخلية. وفي عام 2013، كان يستقبل 6,000 حالة شهرياً.²

Map of Syria



حتى آذار 2021، كان نظام الرعاية الصحية في الأتارب، الذي تدعمه الجمعية الطبية السورية الأمريكية حالياً، يضم مرفقين منفصلين وعيادة للقاحات، ويقدم خدماته لسكان المنطقة البالغ عددهم 182,358 شخصاً، 40.4 بالمئة منهم نازحون من مناطق أخرى. في بداية عام 2021، بلغ عدد سكان مدينة الأتارب 22,220، وهو تقريباً ضعف عدد سكانها قبل النزاع.³ وشكل النازحون نحو خمسون بالمئة من سكانها (11,208).⁴ يستطيع النازحون الفقراء اللجوء إلى الأتارب بسهولة وبتكاليف معقولة لأنها قريبة من خطوط القتال.

ومع تطور النزاع، ازدادت أهمية المستشفى للمنطقة، ولا سيما في عام 2016، بعد هجوم الحكومة السورية على مدينة حلب، واستهدافها المرافق الصحية بشكل متعمد، وإجبارها السكان على النزوح. وبسبب عدم قدرتهم على الحصول على خدمات الرعاية الصحية في مدينة حلب، صار سكان القرى المحيطة يقصدون مستشفى الأتارب للحصول عليها. وقد توسعت خدمات المستشفى ما شجع الناس على القدوم إليها من شمال محافظة حماة، قاطعين نحو 100 كم للحصول على الرعاية الطبية.

نمط الهجمات على المرافق الصحية

تعرض النظام الصحي في الأتارب إلى غارات جوية عديدة منذ عام 2015. ووثقت الجمعية الطبية السورية الأمريكية، التي تطبق منهجية مختلفة ولكن مكملة لمنهجية أطباء من أجل حقوق الإنسان، استهداف مستشفى الأتارب القديم بست غارات جوية على الأقل في الفترة بين حزيران 2015 وتشرين الثاني 2016. وأجبرت الهجمات المتكررة إدارة المستشفى على الانتقال إلى مرفق تحت الأرض بنته الجمعية الطبية السورية الأمريكية في عام 2017 بهدف حماية العاملين والمرضى.

نوع المرفق لحظة الهجوم	تاريخ الهجوم	السلح المستخدم	الجهة المعتدية ⁵
مركز صحي	4 حزيران 2015	برميل متفجر	قوات الحكومة السورية
مستشفى ميداني	23 تموز 2016	قصف جوي	قوات الحكومة السورية أو القوات الروسية
مستشفى ميداني	14 تشرين الثاني 2016	قصف جوي	قوات الحكومة السورية أو القوات الروسية
عيادة	13 تشرين الثاني 2017	صاروخ	قوات الحكومة السورية أو القوات الروسية
مستشفى	21 آذار 2021	قصف جوي	قوات الحكومة السورية أو القوات الروسية

الجدول (1): قائمة شاملة موثقة بالهجمات على مرافق الرعاية الصحية في ناحية الأتارب منذ آذار 2011 أعدتها أطباء من أجل حقوق الإنسان.⁶



في الأعلى والأسفل: مستشفى الأتارب الجراحي في أعقاب هجوم 14 تشرين الثاني 2016.
تصوير: الجمعية الطبية السورية الأمريكية



مستشفى جديد تحت الأرض

يعتبر تقديم خدمات الرعاية الصحية أثناء النزاعات أمراً صعباً دائماً. وفي حالتنا هذه، أُجبرت الهجمات المتكررة الجمعية الطبية السورية الأمريكية، التي دعمت المرافق الصحية بدءاً من عام 2017، على نقل مواقع تلك المرافق مرات عديدة خلال سنوات قليلة. وفي نهاية المطاف، بنت مرفقاً تحت الأرض لتقديم الرعاية الصحية بأمان للمحتاجين.

اختير موقع المستشفى الجديد على أطراف بلدة الأتارب لتقليل احتمال وقوع غارات جوية. ونفذت أعمال البنية التحتية في الفترة بين آذار وتشرين الثاني 2017، وفتح الموقع الجديد أبوابه في شباط 2018.



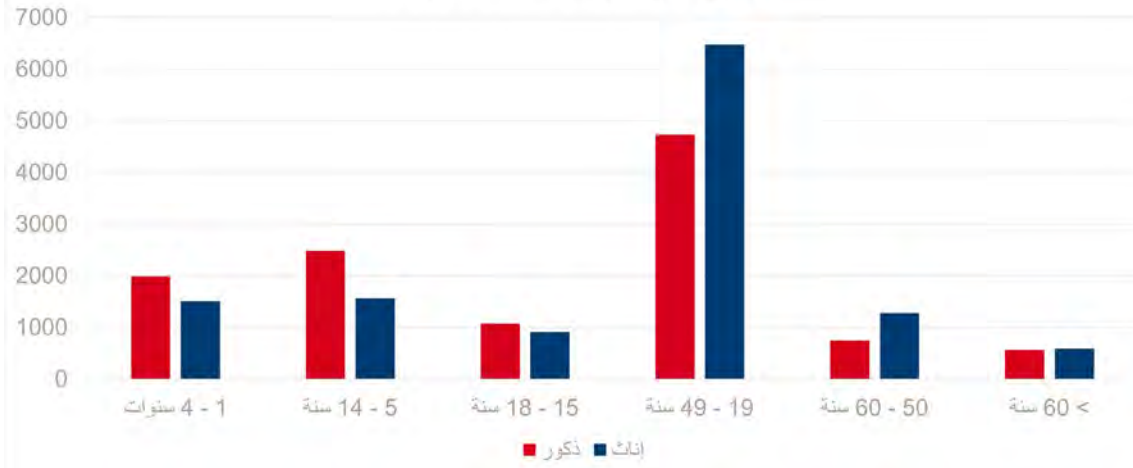
وبعد نقل خدمات المرضى إلى المستشفى الجديد، أعادت الجمعية الطبية السورية الأمريكية تأهيل المبنى القديم في مركز البلدة بين نيسان وأب 2018، وحولته إلى مركز شامل للتوليد ورعاية حديثي الولادة. وظل المرفقان القديم والجديد يقدمان خدماتهما حتى هجوم الحكومة السورية والقوات الروسية على شمال غرب سوريا في أواخر عام 2019. وفي شباط 2020، شعرت إدارة المستشفى بأن الأتارب أصبحت قريبة جداً من خط المواجهة، وهذا يشكل خطراً على المرضى والعاملين. لذلك قررت إفراغ المرفقين. وفي نيسان 2020، سمح استئناف اتفاق وقف إطلاق النار للمستشفى باستئناف خدماته. وجرى تحويل المبنى القديم إلى مركز للرعاية الصحية الأولية، ونقل نشاط التوليد ورعاية حديثي الولادة إلى المرفق الجديد. وجرى تأسيس مركز فرعي للقاحات في بلدة الأتارب يقدم اللقاحات الروتينية لأطفال المنطقة وكذلك مركز للرعاية الصحية الأولية.

الخدمات الطبية في مستشفى الأتارب الجراحي تحت الأرض

يقدم المستشفى الجديد الذي بني تحت الأرض مجموعة واسعة من الخدمات الطبية كالعلاجات الجراحية، والعيادات الخارجية، وخدمات التشخيص. ويحتوي 44 سريراً منها 20 للرعاية الجراحية و24 للتوليد ورعاية الأطفال. ويعمل فيه 89 عاملاً صحياً موزعين على مختلف الاختصاصات (11 طبيباً، 30 ممرضة، 3 قابلات، 9 فنيين) لتقديم الخدمات الطبية للجنسين وللمختلف الفئات العمرية. وفي الفترة بين تشرين الأول 2020 ونهاية شباط 2021، استفاد نحو 21,324 مريضاً من خدمات المستشفى، منهم 10,911 طفلاً.

وخلال الفترة نفسها، قدم المستشفى خدماته لمرضى مدنيين من جميع الفئات العمرية، من حديثي الولادة إلى المسنين، وكان 52 بالمئة منهم نساء وفتيات.

عدد الاستشارات في مستشفى الأتارب
حسب العمر والجنس
(تشرين الأول 2020 - شباط 2021)



وبلغ متوسط عدد الاستشارات الشهرية التي قدمها المستشفى في هذه الفترة 4,791 استشارة منها 472 في الصحة الإنجابية ورعاية حديثي الولادة، و63 ولادة طبيعية، و152 جراحة كبرى غير متعلقة بالحرب، و1,932 صورة أشعة. وبلغ عدد خدمات الطوارئ الأخرى كإدارة الجرحى 715 شهرياً.

هجوم 21 آذار على مستشفى الأتارب الجديد⁷

في الساعة 8:41 من يوم 21 آذار 2021، سقطت ثلاث قذائف مدفعية على مستشفى الأتارب. أصابت إحداها المدخل الرئيسي، وأدت إلى تدمير عيادة العظمية بشكل كامل، وكانت عبارة عن بناء مسبق الصنع على مدخل المستشفى. ألحقت القذيفة أضراراً جسيمة بنوافذ المبنى الرئيسي للمستشفى والبوابة الأمامية.



فتحة في سقف البوابة الأمامية لمستشفى الأتارب ناجمة عن قذيفة أطلقت خلال هجوم آذار 2021
تصوير: الجمعية الطبية السورية الأمريكية

"فجأة، احسست بان الجدار يسقط على راسي وبدا الناس بالهرب. علمت حينها انني خسرت عيني ولكنني واصلت الهرب لأنني لم أرد أن أموت."
طبيب جراحة عظمية كان يعتني بمرضى في عيادة مستشفى الأتارب عند حدوث الهجوم

مولدات

وأصابت قذيفة أخرى

الكهرباء الموجودة على سطح المستشفى، ما أدى إلى تعطلها.

كان يفترض معاينة 40 مريضاً في عيادة العظمية في ذلك اليوم. وفي الساعة الثامنة صباحاً، كان نصفهم على الأقل موجودين عند بوابة المستشفى حيث تقع العيادة، وبصحبة كل منهم مرافق واحد على الأقل. أعطي المرضى أرقاماً، وبدأ العاملون في العيادة بمعاينتهم عندما حدثت أول ضربة، وسمع دوي انفجار كبير. هرع المرضى والموظفون الذين كانوا بالقرب من موقع الضربة للاحتماء في الحقول المجاورة.

لم يكن هناك أي إنذار مسبق بحدوث الهجوم على المرفق، ولا أي مؤشر على وجود تصعيد عسكري كبير على خطوط القتال أو زيادة الأعمال القتالية في المناطق القريبة. كان الجراحون يتحضرون لإجراء عمليات جراحية اختيارية في المستشفى، وكان المرضى يتلقون خدمات روتينية. وتقول فنية جراحة كانت في غرفة العمليات تحضر أحد المرضى لإجراء عملية جراحية: "بعد سماع دوي انفجار كبير، ركضت صوب باب المستشفى. كان كل شيء مغطى بالغبار، ولم أستطع رؤية أي شيء حتى وصلت إلى البوابة الرئيسية حيث غرفة الإسعاف. رأيت أشخاصاً على الأرض مضرجين بالدماء. كل ما استطعنا فعله هو سحبهم إلى الداخل ومحاولة مساعدتهم".

بعد الهجوم الأول، وأثناء قيام العاملين بمساعدة الجرحى، وهروب المرضى من المستشفى، تعرض المرفق لضربتين إضافيتين أدتا إلى انقطاع الكهرباء في المرفق بشكل كامل. انطفأت جميع الأضواء وتوقفت الأجهزة الطبية عن العمل.



ردهة الانتظار الرئيسية في مستشفى الأتارب، ويظهر دم أحد ضحايا الهجوم.
تصوير: الجمعية الطبية السورية الأمريكية

"كان كل شيء مغطى بالغبار، ولم أستطع رؤية اي شيء حتى وصلت إلى البوابة الرئيسية حيث قسم الإسعاف. ورأيت أشخاصاً على الأرض مضرجين بالدماء. كل ما استطعنا فعله هو سحبهم إلى الداخل ومحاولة مساعدتهم."
فنية جراحة في مستشفى الأتارب

منعت تلك الضربتان العاملين من تقديم خدمات ملائمة للمصابين، وأعاقنا إجلاء المرضى. في ظل تلك الظروف الصعبة، حاول العاملون معالجة إصابات المرضى وإصابات زملائهم بمن فيهم ممرض أصيب في صدره، وفني أصيبت أوعية يده. وتعذرت معالجة الإصابات الأخرى داخل المستشفى. مثلاً، تطلبت إصابة أحد المرضى في رأسه نقله إلى وحدة العناية المركزة في مستشفى قريب. وتعددت مهمة إجلاء المرضى والعاملين بسبب خطر وجود هجمات لاحقة. وكان لا بد من استخدام سيارات المدنيين لنقل الضحايا. وأفاد المرضى وعاملو المستشفى بأنهم كانوا "خائفين من مغادرة المستشفى، ولم نعرف هل سنتمكن من المغادرة على قيد الحياة"، كما عبر فني جراحة كان على وشك بدء مناوبته لحظة استهداف المستشفى.

أدى الهجوم إلى مقتل سبعة مرضى (خمسة رجال وطفلين). وإصابة 17 شخصاً آخرين، منهم خمسة عاملين صحيين (طبيب، وعامل فني، وممرضة إسعاف، وممرضة كوفيد-19، وفني مراقبة أمراض معدية). وكانت أربع إصابات على الأقل خطيرة، ونُقل ضحاياها إلى تركيا لتلقى المعالجة الطارئة.



كوادر مستشفى الأتارب يعالجون مصاباً بسبب الهجوم.
تصوير: الجمعية الطبية السورية الأمريكية

الأسلحة والمنفذون ومؤشرات الاستهداف المتعمد

يتوافق هجوم آذار 2021 على مستشفى الأتارب مع نموذج يشير إلى وجود استهداف متعمد. فإلى جانب الهجمات المتكررة على هذا المرفق، ثمة مؤشرات أخرى على الاستهداف المتعمد. وتشير وثائق مفتوحة المصدر إلى أن الحكومة السورية أو حلفاءها الروس هم من نفذوا هذا الهجوم. فقذائف كراسنوبول المستخدمة في الهجوم هي أسلحة مدفعية روسية موجهة بالليزر بحسب تقرير نشره الأرشيف السوري.⁸ ومن المعروف أن هذا السلاح استخدم في سوريا سابقاً. يبلغ مدى هذه القذائف 25 كم، ونسبة دقتها 80-90 بالمئة. ونشرت مجموعة تدعى "الوجه الآخر للميدالية"، تمتلك صلات وثيقة مع شركات عسكرية روسية خاصة وتدعمها، مقطع فيديو يظهر لحظة حدوث الهجوم مصوراً من طائرة. واستطاع شهود عيان وعاملون في المستشفى شاهدوا الفيديو التعرف على أنفسهم وعلى معالم المستشفى.⁹

الحرمان من الرعاية الصحية

بعد الهجوم، قررت إدارة المستشفى والجمعية الطبية السورية الأمريكية الداعمة له، إخلاء المستشفى، والبدء بإصلاحه وإعادة إعمارته فوراً. استغرقت عملية الترميم، التي شملت أعمال البناء والتنظيف وإعادة الكهرباء واستبدال التجهيزات المدمرة، أسبوعين تقريباً. وبسبب الإصابات والوفيات الناجمة عن هجوم 21 آذار، قررت قيادة الأتارب إغلاق مركز الرعاية الصحية الأولية في مركز المدينة لحماية العاملين والمرضى من هجمات مشابهة.

وقال فني جراحة في المستشفى: "لم نكن نريد إغلاق المرفق ولكن الضرر كان كبيراً".

كما ذكرنا أنفاً، يقدم النظام الصحي في الأتارب الرعاية لمرضى من جميع أنحاء المنطقة. ولكن سكان بلدة الأتارب والقرى المجاورة لم يستطيعوا الحصول على الرعاية الصحية في المستشفى لمدة 15 يوم بعد الهجوم. ولم يستطع العاملون في المستشفيات القريبة ومواردها تلبية احتياجات المرضى خلال هذه الفترة. وأفاد المرضى بأنهم اضطروا للانتظار 3-4 أسابيع لإجراء عمليات جراحية اختيارية في مستشفى الأتارب أو لحجز موعد في إحدى عياداته، بالمقارنة مع أسبوع واحد كحد أقصى قبل الهجوم. وخلال فترة الإغلاق، اضطر المرضى للسفر مسافة 20-30 كم للحصول على الخدمات الصحية في مرافق قريبة من الحدود السورية-التركية. وكانت هذه المرافق أصلاً تعمل بكامل طاقتها، وتقدم خدماتها لمناطق ذات كثافة سكانية مرتفعة. وشكل السفر من الأتارب للحصول على الرعاية الصحية مخاوف أمنية وحمل السكان أعباء مالية. فالتكلفة التقديرية لرحلة ذهاب فقط إلى أقرب مستشفى جراحي تبلغ 25 دولاراً أمريكياً، وهذا المبلغ يساوي 17 ضعف متوسط الدخل اليومي.

تقول ممرضة توليد كانت في المستشفى عند وقوع الهجوم: "كنت في العيادة أتابع حالة امرأة حامل كان يفترض أن تضع مولودها بعد بضعة أسابيع من الهجوم. ولمتابعة رعاية الحمل، اضطرت أسرتها لاستعارة سيارة الجيران للسفر إلى عيادة قريبة. لم يكن باستطاعتهم تحمل تكلفة استئجار سيارة أو دفع مصاريف الرحلة.

وقال فني جراحة: "كان لابد من إعادة الخدمات وإعادة افتتاح المستشفى في أسرع وقت ممكن. فكل يوم يمر والمستشفى مغلق يزيد معاناة سكان المنطقة".

” كان لا بد من إعادة الخدمات وإعادة افتتاح المستشفى في أسرع وقت ممكن. فكل يوم يمر والمستشفى مغلق يزيد معاناة سكان المنطقة.”
فني جراحة في مستشفى الأتارب

الآثار طويلة الأجل

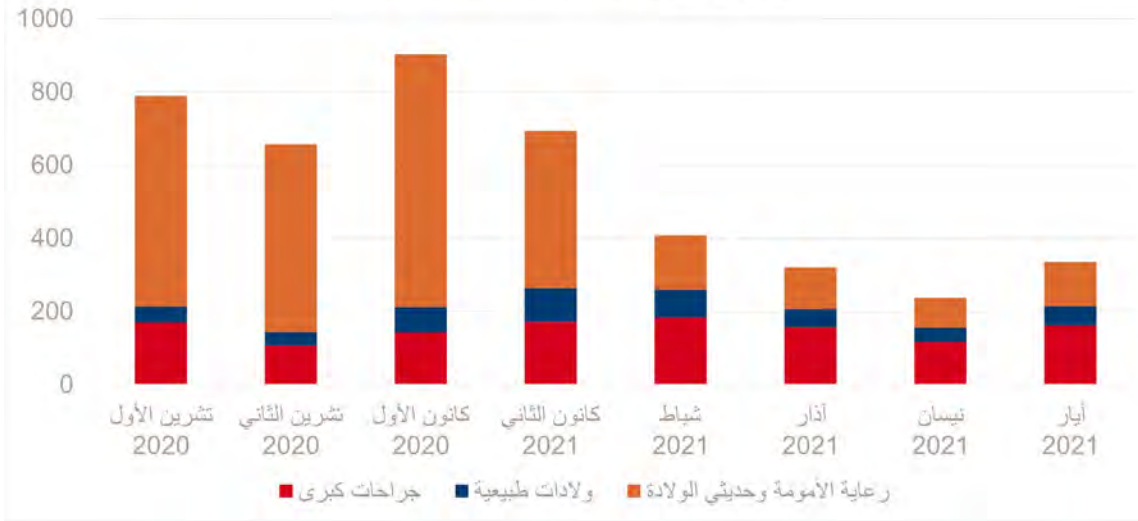
ظل مستشفى الأتارب مغلقاً لمدة أسبوعين حتى الانتهاء من إصلاح المبنى. وأغلقت عيادة اللقاحات ومركز الرعاية الصحية الأولية لمدة أسبوع. وحتى بعد إعادة افتتاح المستشفى، لم تتم إعادة الخدمات بشكل كامل بسبب المخاوف الأمنية، وتحسباً لهجمات جديدة. في البداية، أعطت إدارة المستشفى الأولوية لخدمات الطوارئ، وأجلت إعادة الرعاية الانتخائية أسبوعاً آخر بعد إعادة افتتاح المستشفى. وتردد كثير من المرضى في زيارة المستشفى للحصول على الرعاية المتقدمة أو الخدمات الداخلية، ما أدى إلى انخفاض الاستفادة من خدمات المستشفى. لكن خدماته كانت مهمة جداً للسكان المحليين ما أدى إلى ارتفاع نسبة الاستفادة منها مع مرور الوقت. وانخفض عدد الاستشارات إلى 3,049 في نيسان 2021، وإلى 4,225 في أيار (وبلغ متوسط عدد الاستشارات في هذين الشهرين 3,637)، أي أقل بكثير من المتوسط قبل الهجوم (4,791 استشارة). وحدث أكبر انخفاض في الصحة الإنجابية ورعاية حديثي الولادة، أي أن الأثر الأكبر كان على النساء.

خلف الهجوم أثراً نفسية مباشرة على العاملين الصحيين وعلى سكان الأتارب الذين عانوا بعد الهجوم من أعراض تشبه اضطراب ما بعد الصدمة. وصرح العاملون بأنهم ظلوا لأسابيع عديدة بعد الهجوم يشعرون بالقلق أثناء عملهم في المستشفى، ويخشون مغادرة المبنى أثناء الاستراحات. وأفادوا بأنهم كانوا ينتظرون حتى انتهاء اليوم لمغادرة المستشفى، وكانوا يغادرونه بسرعة. ورغم ارتفاع مستويات القلق والتوتر، عبر عاملو المستشفى عن أهمية عملهم للمجتمع المحلي. فقد قالت فنية جراحة: ”أولادي يطلبون مني دائماً الاعتناء بنفسي وأنا في المستشفى. وأنا أقول لهم إذا أصبتم، تحتاجون شخصاً ليساعدكم. لذا عملي مهم لأنني أساعد الآخرين”.

اسم الخدمة	متوسط عدد الاستشارات قبل الهجوم (تشرين-شباط 2021)	متوسط عدد الاستشارات بعد الهجوم (نيسان-أيار 2021)	نسبة الانخفاض
الصحة الإنجابية ورعاية حديثي الولادة	472	104	78%
ولادة طبيعية	63	46	27%
جراحات كبرى غير متعلقة بالحرب	631	580	8%
إجمالي الاستشارات	4,791	3,637	24%
إجمالي المستفيدين	4,265	3,579	16%

الجدول (2): مقارنة حجم العمل في مستشفى الأتارب قبل هجوم آذار 2021 وبعده.

عدد الاستشارات في مستشفى الأتارب
حسب نوع الخدمة
(تشرين الأول 2020 – شباط 2021)



تعرض العديد من العاملين لهجمات سابقة. فاثنتين من العاملين الصحيين المشاركين في المقابلات كانوا يعملون في حلب حيث شهدوا الاستهداف المتعمد للمرافق الصحية أثناء الحملة العسكرية في عام 2016 والتي أدت إلى تدفق النازحين إلى منطقة الأتارب. وذكرنا أن استهداف المرافق الصحية والمرضى ما زال نفسه حتى بعد مرور خمس سنوات. وقال أحدهما: "تعتقد أنك آمن أثناء العمل في مستشفى كبير ومحمي في الواقع، لا مكان آمن

**"عدنا إلى المستشفى حيث اضطررنا للعمل تحت
الخطر، ومن ثم أجبرنا أنفسنا على النسيان".**

فني جراحة في مستشفى الأتارب

الجانب القانوني

توثق أطباء من أجل حقوق الإنسان منذ زمن طويل انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في سوريا بما في ذلك المادة 3 المشتركة بين اتفاقيات جنيف وبرتوكولاتها الإضافية التي تحظر استهداف الذين يقدمون الرعاية الطبية ويتلقونها. واستناداً إلى روايات العديد من شهود العيان عن الهجوم على مستشفى الأتارب الجراحي في 21 آذار، وشدة إصابات الضحايا، ونمط الهجمات المتكررة على مرافق صحية عديدة في منطقة الأتارب، واستخدام أسلحة متطورة جداً، تعتقد المنظمة أن هناك أساساً ذا مصداقية لتهمة الأعمال العدائية بموجب قانون الاستهداف.¹⁰

في نيسان 2018، أي قبل ثلاث سنوات من هذا الهجوم، قدمت الجمعية الطبية السورية الأمريكية و11 منظمة إنسانية أخرى إحدائيات 60 مرفقاً صحياً في سوريا إلى آلية تقاضي التضارب في مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية.¹¹ وتضمنت هذه الإحدائيات موقعي مستشفى الأتارب القديم والجديد. وبعد تقديم الإحدائيات، بات على جميع الأطراف العسكرية المشاركة بما فيها الحكومة السورية وحلفاؤها إضافة هذه الإحدائيات إلى "قائمة الأهداف التي يحظر قصفها". نظرياً، كان ينبغي اعتبار هذه المواقع "غير مشمولة بالنزاع" أو آمنة من الهجوم، وتعهد مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية بالدعوة العلنية إلى إجراء تحقيق في حال حدوث أي انتهاك لهذه الآلية. كانت الحكومة السورية وحلفاؤها يعلمون موقع هذه المرافق وأنه يحظر استهدافها. ولكن بدلاً من

احترام آلية تفادي التضارب، استخدموا صواريخ عالية الدقة موجهة بالليزر لضرب مستشفى الأتارب ثلاث مرات في خمس دقائق. وتعتقد أطباء من أجل حقوق الإنسان أن هذا يثبت نية القتل وإصابة العاملين الصحيين والمرضى في المرفق المبني تحت الأرض. وترى المنظمة أيضاً بأن شدة الهجمات ووتيرتها، مع النية الواضحة لقتل المرضى المدنيين في مستشفى تعلم الحكومة السورية وحلفاؤها إحداثياته يرقى إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية بموجب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية.¹²

ولا يقل الحق في الصحة أهمية عن الانتهاكات المذكورة آنفاً بموجب المادة 12 من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وسوريا دولة طرف فيه.¹³ وتنص المادة 22-2 من الدستور السوري لعام 2012 على أن الدولة "تحمي صحة المواطنين وتوفر لهم وسائل الوقاية والمعالجة والتداوي".¹⁴ وكما توضح هذه الدراسة، فإن النساء والأطفال هم الأكثر تضرراً من هجوم 21 آذار، والدليل هو انخفاض استشارات الصحة الإنجابية ورعاية حديثي الولادة بعد الهجوم بنسبة 78 بالمئة. من خلال التدمير الممنهج للبنية التحتية الصحية في ناحية الأتارب، حرمت الحكومة السورية فعلياً السكان، بمن فيهم أعداد كبيرة من الفئات الضعيفة، من حقهم في الرعاية الصحية.

دعوة إلى الاستجابة

رغم استمرار الهجمات الواسعة والمتعمدة على مرافق الرعاية الصحية والعاملين الصحيين في سوريا منذ 10 سنوات، لم يبذل المجتمع الدولي أي جهود حقيقية وقابلة للتنفيذ لوضع حد لهذه الجرائم. إن هذه الهجمات على الرعاية الصحية لا تلحق ضرراً مباشراً بالمرافق والعاملين والمرضى المستهدفين فحسب، بل تخلف أثراً سلبية طويلة الأمد على جودة الرعاية الصحية وتوفر الخدمات الصحية. وقد فاقمت جائحة كوفيد-19 هذا الوضع، وزادت الضغوط على النظام الصحي في سوريا.

على مجلس الأمن إجراء تحقيق مستقل بشأن الهجوم على مستشفى الأتارب لمعرفة الحقائق، ومحاسبة المسؤولين عنه. لا يمكن وضع حد للهجمات على القطاع الصحي في سوريا إلا عبر المساءلة. وعلى مجلس الأمن أيضاً الاعتراف بالاحتياجات الإنسانية المتزايدة لسوريا، وتراجع قدرات النظام الصحي بسبب استمرار الهجمات، وتوسيع المساعدات الإنسانية في سوريا. ويشمل هذا استمرار دعم النشاطات عبر الحدود، وزيادة مراقبة أموال الأمم المتحدة الموزعة من دمشق، ومواصلة الجهود لضمان وصول مساعدات إنسانية عبر خطوط النزاع مع احترام مبادئ العمل الإنساني.

وعلى المانحين إعطاء الأولوية لتمويل النظام الصحي في سوريا بما في ذلك إعادة تأهيل المراكز الصحية المتضررة، وشراء التجهيزات الطبية، وتقديم التدريب للعاملين الصحيين الحاليين والجدد. وعليهم أيضاً دعم خدمات الصحة النفسية للعاملين الصحيين الذين يواصلون عملهم تحت ضغوط كبيرة.

الحواشي

¹ أطباء من أجل حقوق الإنسان، "الهجمات غير المشروعة على مراكز الرعاية الصحية في سوريا"، تاريخ التصفح 30 حزيران، <http://syriamap.phr.org/#/en2021>.

